Comprehensive Journal of Science
Volume (10), Issue (36), (Sep, 2025)
ISSN: 3014-6266

مجلة العلوم الشاملة
المجلد (10) العدد 36 سبتمبر 2025
ردمد: 3014-6266

التراث الإيجابي وأثره في نشر ثقافة القصة ومكانتها عند الأديب أحمد نصر

هناء احمد محمد شتاوة

قسم اللغة العربية – كلية .التربية ناصر/ جامعة الزاوية

ha.shattawah@zu.edu.ly

Positive Heritage and its Impact on Spreading Story Culture and its Place in the Works of the Writer Ahmed Nasr

Hanaa Ahmed Mohamed Shatawa

Department of Arabic Language – Faculty of Education, Nasser / University of Zawiya

تاريخ الاستلام:2025/07/30 –تاريخ المراجعة:2025/08/18– تاريخ القبول: 2025/08/28– تاريخ للنشر : 2025 /9/1

ملخص البحث:

يركز البحث على الكيفية وظيف بها الأديب أحمد نصر التراث الإيجابي في إنتاجه القصصي والروائي، محاولًا الكشف عن الكيفية التي حوّل بها هذا الكاتب عناصر البيئة الليبية القروية والصحراوية، بما تحمله من عادات وتقاليد ومعتقدات وشخصيات نمطية كالراعي والدرويش والحاج، إلى مادة سردية حية تنبض بالحياة داخل قصصه القصيرة ورواياته. ولم يتعامل أحمد نصر مع التراث بوصفه مادة توثيقية جامدة يسردها كما هي، بل استلهمه وأعاد صياغته بما يخدم البناء الفني للقصة والرواية، فجعل من القرية والصحراء فضاءين متفاعلين مع الإنسان والحيوان والمكان، وصاغ ذلك كله في نسيج سردي متماسك.

ويعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، حيث يستقرئ نصوص أحمد نصر القصصية والروائية، ويصف مظاهر التراث فيها، ثم يفسر دلالاتها الثقافية والفنية، كاشفًا في الوقت نفسه عن أثر هذا التوظيف في نشر الثقافة الليبية والرفع من مكانة القصة عند هذا الكاتب.

الكلمات المفتاحية: التراث الإيجابي؛ أحمد نصر؛ القصة القصيرة الليبية؛ الرواية الليبية؛ الثقافة الشعبية؛ التوظيف السردي.

Abstract

This research examines the phenomenon of employing positive heritage in the short-story and novelistic output of the Libyan writer Ahmed Nasr, seeking to reveal how he transformed elements of the Libyan rural and desert environment, including customs, traditions, beliefs, and archetypal figures such as the shepherd, the dervish, and the pilgrim (al-hajj), into vivid narrative material that pulses with life within his short stories and novels. Ahmed Nasr did not treat heritage as rigid documentary material to be merely reported as it stood; rather, he drew inspiration from it and reshaped it to serve the artistic construction of the story and the novel, turning the village and the desert into two interacting spaces alongside human beings, animals, and place, and weaving all of this into a coherent narrative fabric.

The research adopts the descriptive-analytical method, tracing Ahmed Nasr's narrative texts, describing the manifestations of heritage within them, and then interpreting their cultural and artistic significance, while also revealing the impact of this employment of heritage on disseminating Libyan culture and elevating the standing of the short story in his work.

Keywords: Positive heritage; Ahmed Nasr; Libyan short story; Libyan novel; popular culture; narrative craft.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا على نبيه أشرف الخلق أجمعين، أما بعد؛ فإن التراث الذي هو ذاكرة الأمم ومسجل هويتها الثقافية والحضارة يُعدُ أحد أهم وأخصب الروافد التي ينهل منها الأدب، لا سيما فنون السرد، والقصة على وجه التحديد، وذلك لأن القصة قادرة على استيعاب المكونات الإنسانية والمجتمعية الصغيرة، وتُعدُ وعاءً فنيًا لحفظ التراث الإيجابي متمثلاً في العادات والتقاليد والقيم والمعتقدات والأمثال والحكايات الشعبية، ومن ثم يتم نقله من جيل إلى جيل، ومن بيئة ثقافية محلية ضيقة إلى فضاء أكثر رحابة.

وقد احتلت البيئة الصحراوية والقروية في ليبيا حيزًا واسعًا من الوجدان الشعبي، ذلك لأن ليبيا غنية بالقصص والروايات والأساطير، وبالتالي فإن الأدب الليبي الشعبي غني ومفعم بالحكايات الفطرية الشفاهية التي لم تحظَ بالتدوين والدراسة، ومن بين الأدباء الليبيين الذين التفتوا مبكرًا للتراث، وجعله مادة خصبة قادرة على التوظيف في الإبداعي السردي، يبرز اسم الأديب الليبي أحمد نصر الذي يُعد أحد أهم كُتاب السرد الليبي الذي جمع بين كتابة القصة القصيرة والرواية والسيرة الذاتية.

وتكمن أهمية دراسة التراث الثقافي عند أحمد نصر في أن منتوجه الأدبي لم يكن انعكاسًا سطحيًا للبيئة، بل مثلت وعيًا بمضامين البيئة والثقافة والقصد الفني في تحويل عناصر التراث الليبي المتمثل في الصحراء والقرية والمسجد والدكان، والشخصيات المتمثلة في الراعي والأعرابي والدرويش والحاج، والعادات والتقاليد الليبية كالأعياد والموالد والطقوس الصوفية، وقد سعى أحمد نصر إلى تحويل تلك العناصر إلى بنى سردية حملت دلالات رمزية عميقة، وهو ما جعل البحث في تجربته السردية أمرًا جديرًا بالتقدير والعناية والدراسة، حيث يكشف إبداع أحمد نصر عن العلاقة الجدلية بين الهوية والأدب والثقافة، وبين النص القصصي أو السردي بوجه عام ومكانته الأدبية.

أسباب اختيار الموضوع:

- قلة الدراسات النقدية التي تناولت التراث الإيجابي الليبي، خاصة عند أحمد نصر، وذلك رغم كثرة الدراسات التي تناولت إبداعه من زوايا أخرى.
- أحمد نصر من الأوائل القليلين الذين جعلوا من البيئة الليبية بقراها وصحاريها مسرحًا لأحداث أعمالهم السردية.
- الرغبة في الكشف عن وظيفة التراث الثقافية في الأدب القصصي الليبي، ومعرفة دوره في نقل صورة المجتمع الليبي إلى القاري عربيًا كان أو غير عربي.
- السعي إلى الإسهام في إثراء الدراسات النقدية العربية حول أدباء الجيل المؤسس للقصة القصيرة الليبية، ومن بين هؤلاء الكاتب أحمد نصر.
- تنوع تقنيات أحمد نصر الفنية، تلك التي جعلت من نصوصه حقلًا خصبًا لتطبيق مناهج وإجراءات نقدية جديدة على إبداعه.

أهداف الدراسة:

- الكشف عن أهم مظاهر التراث الإيجابي في المنتوج الإبداعي للكاتب أحمد نصر.
- معرفة والكشف عن آليات أحمد نصر الفنية التي وظف من خلالها عناصر التراث في بناء الشخصيات والأماكن والأحداث السردية.
- معرفة أثر توظيف أحمد نصر للتراث في نشر الثقافة الليبية على المستويين المحلي والعربي، وكذلك تعريف متلقي أدبه بخصوصية المجتمع الليبي قرويًا وصحراويًا.
- معرفة مكانة القصة القصيرة عند أحمد نصر، ومدى مساهمة التراث في إعلاء شأن تلك المكانة.

منهج الدراسة:

يسعى هذا البحث إلى الاعتماد على المنهج الوصفي والتحليلي، وهو منهج يقوم على استقراء النصوص، ومن ثم استقراء النصوص السردية لأحمد نصر، ووصف مظاهر التراث التي تتخللها، وتفسير دلالاتها الثقافية والفنية.

الفجوة البحثية:

على الرغم من اهتمام عدد من الدراسات بإبداع أحمد نصر، فإن معظمها ركز على البناء السردي أو الجوانب الأسلوبية، بينما لم تحظ قضية توظيف التراث الإيجابي بدراسة مستقلة. ومن هنا يحاول هذا البحث معالجة هذا الجانب، وبيان أثره في تشكيل عالم أحمد نصر السردي.

وتزداد هذه الفجوة اتساعًا إذا عُلم أن أحمد نصر كان من أوائل الأدباء الليبيين الذين جعلوا من البيئة الليبية بقراها وصحاريها مسرحًا لأحداث أعمالهم السردية، وأن الأدب الليبي الشعبي في مجمله لا يزال غنيًا بحكايات فطرية شفاهية لم تحظَ بالتدوين ولا بالدراسة الكافية. ومن هنا يسعى هذا البحث إلى سد جانب من هذه الفجوة، عبر تسليط الضوء على التراث الإيجابي في تجربة أحمد نصر السردية، وبيان أثره في نشر ثقافة القصة وإعلاء مكانتها عنده.

مصطلحات الدراسة:

- **التراث:**

جاء لفظ تراث في لسان العرب ضمن مادة (ورث)، "الوارثُ: صفة من صفات الله عز وجل، وهو الباقي الدائم، الذي يرث الخلائق، ويبقى بعد فنائهم والله عز وجل، يرث الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين، أي يبقى بعد فناء الكل، ويفنى من سواه، فيرجع ما كان ملك العباد إليه وحده لا شريك له.. وورثه ماله ومجده: ورثه عنه ورثًا ورثة ووراثة وإراثة"[1]. أما اصطلاحًا فيتمثل مصطلح التراث في زاويتين: تراث السلوك والعادات والقيم غير المكتوبة، وتراث الإبداعات الفكرية والفنية والأدبية، أما التراث غير المكتوب فإنه يتخلل السلوك والطقوس والشعائر والكلام المنطوق والرموز الاجتماعية الشائعة في الحياة، وفيما يخص التراث غير المكتوب فإنه يتمثل في الإبداعات الفكرية والأدبية المتوفرة في الكتب أو المخطوطات المنشورة أو المشاهد والنصوص المكتوبة على الجدران[2].

- **الثقافة:**

الثقافة هي "هذا الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعادات وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوًا في المجتمع"[3].

- **القصة القصيرة:**

القصـــة هي "مجموعة من الأحداث يرويها الكاتب، وتختلف عن المسـرحية، في أن هذه يمثلها الممثلون على خشـبة المسرح. وهي تتناول حادثة أو عدة حوادث، تتعلق بشخصيات إنسانية مختلفة، تتباين أساليب عيشها وتصرفها في الحياة، على غرار ما تتباين حياة الناس على وجه الأرض، ويكون نصـــيبها في القصـــة متفاوتًا من حيث التأثر والتأثير"[4].

أولًا: أحمد نصر – سيرته ومسيرته:

ولد أحمد نصـر في مدينة مصـراتة عام 1941، وهو يُعدُ واحدًا من أعلام السرد الليبي، فقد جمع بين القصـة القصـيرة والرواية والسيرة الذاتية، وتُعدُ تجربته في الكتابة السردية من أبرز التجارب المبكرة في القصة القصيرة والرواية الليبية.

أ. مؤلفاته:

أصـدر الكاتب أحمد نصـر ثلاث مجموعات قصـصـية، هي: "وتبعثرت النجوم" 1970، و"شـبح النهاية" 1972، و"الحسـاب والجفاف" 1987، ثم بعد فترة زمنية طويلة أصـــدر مجموعة رابعة هي "كشـكول خاص" عام 2025. أما عن الرواية فله أربع روايات أيضًـــا، هي: "الوميض"، و"السـهيل" 1991[5]، و"القرية التي كانت" 2011[6]، ورواية "عاتكة"[7]، هذا بالإضـــافة إلى سـيرته الذاتية التي جاءت بعنوان "المراحل" في أربعة أجزاء، وتُعد هذه الرواية مصـدرًا مهمًا لمعرفة علاقة أحمد نصـر بالبيئة الليبية التي نهل منها مادته السردية.

ب. خصوصيته في توظيف التراث:

يُعد أحمد نصـر من الكتاب القليلين الذين كتبوا عن المجتمع الليبي بمختلف تجلياته، لاسيما في مجموعاته الثلاثة الأولى التي ذكرناها آنفًا، ثم في مجموعة "كشـكول خاص" بعد ذلك، فقد خصـص مسـاحة مهمة في تلك المجموعات الأربعة عن البيئة الصـحراوية، وذلك لأن البيئة الصـحراوية عنده تختلف عن غيره من الكُتاب الليبيين، ويرى أحمد محمد الشـلابي أن التعامل مع الإبداع القصـصـي عند أحمد نصـر متميز، نظرًا للخصـوصـية العلاقة بين الإنسـان والصـحراء في قصـصـه، فيقول في تحليل قصـتين من قصـصـه: "نحن هنا أمام نوعين من ثيمات العلاقة بين الإنسـان والصـحراء، هما: موضـوع (القروي/ "الأعرابي والصـحراء")، وموضـوع علاقة (الصـحراوي/ "الراعي والصـحراء)، يرصـد أحمد نصـر في قصـتين قصـيرتين تحللهما هذه الورقة بوصـفهما أنموذجين، وهما: قصـة (الماء)، وقصـة (وكانت ليلة)، في هاتين القصـتين يصـور الكاتب العلاقة بين الإنسـان والحيوان والطبيعة والصـــحراء، ويتعرض فيهما لرصـــد التفاعل العطوف بين نوعين من الحيوانات: النوع الأول: الأغنام والنوع الثاني: الجمل، وفي كلتا القصـتين يشـارك الحيوان الإنسـان البطولة (قطيع الغنم، والشـاة الأم، والجملان الصـبوران)، وتظهر العلاقة الحميمة بين الإنسان والحيوان بوصفهما عنصرين لبيئة واحدة، في القصة الأولى: (الماء) بخاطر الإنسان بحياته؛ لينقذ نفسه وينقذ الحيوان معه. أما في القصة الثانية فالحيوان هو الذي ينقذ الإنسان، فصبر الجمل ووقوفه سدًا ومتراسًا في (وكانت ليلة) هو ما حمى الأعرابي ورفيقه من التجمد والموت بردًا، وأنقذهما من العاصفة الهوجاء المسعورة"[8].

يتجلى لنا من خلال هذا الوصف السابق لعلاقة الإنسان بالحيوان في قصـتين من قصـص أحمد نصـر، أن هذا الكاتب لم يكن ليكتب عن البيئة الصـــحراوية الليبية إلا إذا كان يمتلك أدواته القصـــصـــية امتلاكًا متميزًا، ويســتطيع أن يعبر عنها، ويصـــوغ مكوناتها في قالب إبداعي متميز يتمثل في القصة القصيرة.

ثانيًا: تجليات التراث المكاني في إبداعه:

أ. القرية بوصفها فضاءً تراثيًا:

تُعدُ رواية "القرية التي كانت"[9] مثالاً واضـــحًا لتوظيف أحمد نصـــر للتراث المكاني في إبداعه، فعنوان الرواية نفســـه يحتفي الفضـــاء المكاني؛ إذ إنه يكتب عن قرية، وتبز في العنوان ثنائية، هي (القرية/ التي كانت)، وهذا يدل على أن القرية لم تعد موجودة الآن، فقد تلاشـت، وهي ثنائية تحمل في طياتها معاني التضـاد بين الماضـي والحاضـر، وبين ما كانت القرية عليه، وبين ما أصبحت عليه الآن.

1- البيوت ومكونات التراث الاجتماعي:

يرصـد أحمد نصـر في رواية "القرية التي كانت" بيوتًا بعينها، بوصـف تلك البيوت تُعدُ رموزًا للأصـالة، ومن تلك البيوت بيت الحاج عاشور والحاج عبد الله، وقد وصف أحمد نصر الحاج عاشور نفسه بأنه "شيء من ثوابت القرية"[10]، وهذا الوصف يدل على أن هذا بيت الحاج عاشور كان يحمل في طياتها تفاصيل البيئة الليبية القروية، كما يصـف أحمد نصـر الأمكنة التي كان يرتادها الحاج عاشـور، قائلًا: "كان الحاج عاشـور يصـلي العشـاء على حصـير أمام دكانه، لاذ عبد الملك بوقفته عند مدخل الدكان يتأمل رجلًا يعبد الله. القامة كهده بها نحيلة تأخذ في الانحناء، هو الحاج عاشور شيء من ثوابت القرية. كاد عبد الملك ينفلت ضاحكًا لمعرفة التي –كالعادة– تكبش مؤخرة رأس؛ وكأنها مشدودة إليه بمغنطيس لا تقلقها حركاته التي تستجوبه الصلاة ركوعًا وسجودًا"[11]. وقد سعى أحمد نصر في المقطع السابق من الرواية إلى تصوير الحاج عاشور بوصفه دالًا على استقرار القرية ومعبرًا على الاستقرار في المكان وبروز شخصيات تعضد من عراقة المكان/ القرية وأصالته.

وهناك مقاطع أخرى تبرز احتفاء أحمد نصـر بالمكان، وبالبيت على وجه التحديد، من تلك المقاطع قوله: "فيما دخل عبد الملك بيته أنار الإضـاءة كلها، الصـالة والمطبخ وحجرة النوم وحجرة المكتبة؛ فتوهج البيت داخل أجواء منطفئة في سـكون الليل. فتح نافذة المكتبة، وطل على شـــجيرات غافية مريدة تحت ضـــوء القمر، انحنى على حافة النافذة ينفث دخان تبغه في وجه الليل، رجل عركته التجارب العادية فانبرى وسطًا.. وسطًا في عمره وسطًا في طموحه، وسطًا في حياته"[12]. ولم يكتب أحمد نصـر عن المكان فحسـب، لكنه بطبيعة الحال كتب عن قاطني هذا المكان، وسـعى في وصـف عبد الملك بعد وصـف بيته، فجعل راجلًا وسطًا في كل شيء.

2- المكون الديني:

مثَّل المسـجد القديم في رواية "القرية التي كانت" واحدًا من مكونات التراث الديني الإيجابي، فقد وصـفه أحمد نصـر بأنه "بناء أثري قادم من أصـول القرية الأولى، جدران عريضـة مبنية من الحجارة والجير، ونوافذ ضـيقة مشـبكة بالحديد المزخرف، يقولون إن عمره ثلاثمائة ســـنة، ربما أكثر، وربما أقل، لكنه على كل حال هو الأقدم في موروثات القرية"[13]. ولعل ما يجعل المكون الديني بارزًا في الرواية هو ورود اسم أحد دراويش القرية وهو أبو عجيلة، فعندما ضـرب شـعيب أبا عجيلة "كانت أم شـعيب قد همت عن كرسيها تصيح من ورائه: حرام عليك يا ولدي، اتق الله.. أبو عجيلة ولي..

– هذا شيطان.. كلب"[14].

وهذا النص يشير إلى أن الأم كانت تؤمن بولاية الدراويش الصـوفية، فالنص السـابق يشـير إلى أن الصـوفية كانت متغلغلة في الأم، بينما كان الولد شخص نفعي أناني لا يعبأ بما تقول أمه.

وهناك ملمح ديني آخر يبرز في هذه الرواية، هو الاحتفال بالمولد النبوي، يقول الراوي: "وتبدأ الاحتفالات ليلة المولد بإشـــعار النيران والأهازيج، وقتها كان المســـاء الرمادي يســـتقبل القرية بالشـــموع والقناديل، يطوف بها الأطفال ويرددون أغاني الميلاد، والصـبية يلهون ويعبثون ويوقدون المشـاعل من جريد النحل وإطارات السـيارات المسـتهلكة، وأبو عجيلة بينهم، انبث من الجامع

العتيق، غنى معهم، وجذب، ثم سلك إلى مقابر الشهداء ليوقد شمعة... ثم تمتم بأدعيته وغاب في لون السماء"[15]. يشي هذا المقطع بتأثر أحمد نصر بالصوفية، فتظهر مصطلحات الصوفية جلية، فالاحتفال بالمولد النبوي بهذا الشكل هو طقس صوفي، كذلك وجود دراويش في هذا الاحتفال – كأبي عجيلة– الذي انبث من الجامع العتيق، وغنى مع الناس، وجذب، ثم أوقد شمعة في مقابر الشهداء، ثم تمتم بأدعيته وغاب في لون السماء، كل تلك الأفعال السابقة تنتمي دلاليًا للحقل الصوفي، والتصوف حاضر في التراث الليبي حضورًا بارزًا.

ب. البيئة الصحراوية والتراث:

شكلت البيئة الصحراوية الفضاء الثاني –بعد القرية– الذي استقى منه أحمد نصر تراثًا أفاد منه في بناء عالمه القصصي، وذلك في قصص مجموعة "وتبعثرت النجوم"، في قصتي "الماء"، و"كانت ليلة"، هاتان القصتان اللتان ترصدان العلاقة بين الإنسان والحيوان والطبيعة والصحراء، ويصور الكاتب في قصة "الماء" راعيًا يتردد طويلًا قبل أن يثقب أنبوبًا لنقل المياه لإنقاذ قطعيه من العطش، وذلك خوفًا من عقاب السلطة، وهذا التردد إنما ينم عن تراث اجتماعي يوازن بين حرمة الملكية العامة، وحق الحياة[16]. وقد عبر أحمد نصر عن معاناة هذا الراعي بقوله: "انتصب الرجل واقفًا بين يقظة الروح وقسوة الحال، وعصرت الآلام قلبه، ففاضت دموعًا ملأت محاجره ... راودته فكرة طارئة تهللت لها أسارير جبهته، ولكن أعوز بالله من شر الوسواس... أتفكر في هذا؟ القيد الحديد والسجن الكئيب... أربعة جدران ما أقسى العذاب"[17]. لقد كان أحمد نصر مولعًا بحب البيئة الصحراوية الليبية، والرعي وكل مشتملات تلك البيئة، كما أن هذه القصة وهذا النص السابق تتداخل فيه الصحراء بوصفها مكونًا رئيسًا في التراث الليبي وفي قصص أحمد نصر من ناحية، مع المكون الديني، الخوف من الوقوع في الحرام من ناحية أخرى، بالإضافة بالطبع للخوف من الحاكم الذي قد يودي به خلف الجدران إن علم أن الراعي استخدم المياه بدون إذن.

كما تبرز في القصة نفسها علاقة الكاتب بالحيوان وإشفاقه عليه، حينما يقول: "تلفت جهة القطيع في عبوس حزين وتجول بعينيه في وسطه... جماعات متهالكة على الرمضاء كأشلاء على السفود وأخرى خائرة تلهث... فرمى بالعصا وراء ظهره وانحنى يتحسس رؤوس الأغنام ويمسح على ظهورها، ليخفف ما ألم بها من آثار الضرب، وما اعتراه من إحساس بالندم...، عجماء تحس وتتألم.. مثلك، وإن كانت لا تعرف البكاء ولا التوسل"[18]. إننا لا نلحظ في الاقتباس السابق من قصة الماء حنو الراعي على قطيعه فحسب، بل إننا نرى أن هذا الحنو والرحمة إنما هما نابعان من تشرب التراث الإيجابي في فكر أحمد نص الإبداعي، فالتراث الإيجابي المتمثل هنا هو تأثر بالتراث الديني، فقد جعل الله تعالى سورة للأنعام، وجاء فيها (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ)[19] وهو ما تسلل إلى الثقافة الليبية المؤمنة بأن الله هو الرازق الذي يرزق كل دابة في الأرض، وشعور وتصوير أحمد نصر لتلك الانعام التي لا تعرف البكاء ولا التوسل، إنما هو رحمة نابعة من إيمانه بالله تعالى الذي له اسمين من أسمائه تدلان على الرحمة (الرحمن، الرحيم).

ثالثًا: التراث الاجتماعي والديني في قصة "حكاية الأستاذ الذي..!!":

قصة "حكاية الأستاذ الذي...!!" هي إحدى قصص المجموعة القصصية "الحساب والجفاف"، التي صدرت عام 1987، وهذه القصة "تعالج موضوع مهم، وهو التطفل على حياة الآخرين، وتقصي أخبارهم في حين أن حياة هؤلاء يسودها البؤس وقلة ذات اليد"[20]. لكن القصة –في الوقت نفسه– زاخرة بمفردات التراث بأشكاله الاجتماعية والدينية والشعبية التي يمكن قراءتها بوصفها تراثًا إيجابيًا وظفه أحمد نصر بشكل فني، وذلك على الرغم من أن القصة تعدُ نقدًا لسلوك اجتماعي سيء وهو التطفل والتلصص على حياة الآخرين. ويمكن استكشاف التراث الديني في المجموعة من خلال عدة نقاط، هي:

أ. الألفاظ الصوفية:

يتمثل بناء القصة في حوار يدور بين شخصيتين يحاولان تفسير اختفاء زميل لهما بعد دخوله المسجد، فنراهما يستخدمان ألفاظًا تنتمي دلاليًا للمعجم الصوفي، مثل قول أحمد نصر: "الله!! إذن فقد اخترق قبة المسجد وطار.. دستور يا سيدي مصطفى.

قال عاشور وهو مازال شاردًا يفكر.

في الأمر سر.. سر روحاني.. من يدري.

الشيء لله يا سيدي مصطفى"[21]. والألفاظ الصوفية في المقطع السابق هي (اخترق، طار، تستور، سيدي، الأولياء، الشيء لله)، وهي تشير إلى التراث الصوفي الإيجابي، وهو تراث يدعو إلى معرفة الله والإيمان به وتقديسه، وتشير تلك الألفاظ أيضًا إلى حضور الروحانيات الصوفية في الثقافة الليبية اليومية، فالاختراق والطيران هي ظواهر غامضة لكنها حاضرة في الذاكرة الجمعية لليبيين.

ب. دلالة الأسماء تراثيًا وتاريخيًا:

إن الأسماء في القصة لا تذكر هكذا اعتباطًا، فلكل اسم دلالة واضحة، وقد اختار أحمد نصر اسم "البرمكي"، يقول: "كان البرمكي قد نهض واقفًا وراء الشباك ويداه في جيب بنطاله، فيما نظراته تعبر الشارع أثر عاشور حتى غاب أخرج سيجارته من علبة تبغه، ووضعها بين شفتيه، ودنا من البنك، أشغل السيجارة واتكأ بمرفقيه عليه، وظل ينفثها ويتحدث إلى العاملين وراء البنك"[22]، وكما هو معروف في التاريخ العباسي أن البرامكة كان لهم دور في قيام الدولة العباسية، ومن ثم أصبحوا في خدمة الخلفاء العباسيين، حتى إن منهم من أصبح وزيرًا، وهذا الاسم يُعد إشارة تاريخية يوظف من خلالها الكاتب التراث السياسي العربي والإسلامي لخدمة بنيته السردية.

وقد وظف الكاتب كذلك أسماء أماكن لها دلالتها، مثل "حي الحرية"، و"مقهى الحرية"، في قوله: "قذف بهما الضجر، وزعيق الأطفال، ومطالب البيت إلى الشارع ككل مساء، مثلهما مثل غيرهما من سكان الحرية" وقوله: "ثم مرا بسلام إلى الملاذ الأخير.. إلى مقهى الحرية يشربان الدخان والقهوة، ويقتلان الساعات أو الساعات تقتلهما، ثم يعودان إلى بيتهما ليلاً وكأن الواحد منهما عائد إلى المعتقل"[23]، وأسماء الأماكن الواردة في النص السابق (حي الحرية، ومقهى الحرية)، يوحيان بأن سكان هذا الحي يعيشون في بحبوحة ورخاء، في مفارقة مع واقع الفقر الذي تعيشه شخصيات القصة أنفسهم[24]، وهو توظيف أبدع فيه أحمد نصر عاكسًا وعيه النقدي بالتراث اللغوي والاجتماعي في الآن نفسه.

رابعًا: أثر التراث الإيجابي في نشر ثقافة القصة عند أحمد نصر:

لقد جعل أحمد نصر من قصصه وروايته نافذة يطل منها المتلقي على تفاصيل الحياة الليبية التي لم تكن حاضرة بالقدر الكافي في الكتابات السردية الليبية والعربية بشكل عام، ومن تلك التفاصيل: عادات القرية الليبية في الأفراح والموالد، وطقوس الرعي، والحياة في الصحراء، والمعجم الصوفي الشعبي الليبي، والعلاقات الاجتماعية القائمة على التكافل وحسن الجوار، ومن ثم فقد تحولت إبداعات أحمد نصر السردية إلى وثائق أدبية، تعرف القارئ بهذا التراث، وتنقله من كونه شفاهيًا محدودًا إلى نص مكتوب، يقرأه المتلقون ويُدرس في الجامعة.

لم يكتب أحمد نصر عن التراث المحلي بوصفه عرضًا لأيديولوجية عرقية ولا بوصفه مكانًا تقليديًا، بل كان يكتب عن واقع عاشه، وهو الأمر الذي جعل من النقاد ينظرون إلى إبداع السردي بقدير كبير، نظرًا لمصداقيته الفنية، ورغم أن بعض نصوصه القصصية قصيرة جدًا، مثل قصتي "الماء" و"حكاية الأستاذ الذي..!!"، لكنه هذا الاختزال الذي يصيغ النص من خلاله يخزن كثافة تراثية ودلالية شديدة، مما يجعل تلك النصوص قابلة لأكثر من قراءة ورؤية نقدية، فهي قابلة لاستيعاب مناهج نقدية

حداثية، كالأسلوبية والتفكيكية والسيميائية والوصفية وغيرها)، ومن ثم يمكننا القول بأن القصة عند أحمد نصر ترتكز على ثلاثية متكاملة، هي:

1- أصالة المضمون التراثي المستمد من معايشة حقيقية لليبية الليبية، سواء كان هذا في القرية أو في الصحراء.
2- براعة الأداء الفني المتمثلة في تقنيات الوصف الدقيق وتعدد الرؤى السردية والبراعة في توظيف الحوار بما يتناسب مع خصوصية البيئة والمجتمع الليبي.
3- الوعي النقدي الذي وازن بين الثناء على الجوانب الإيجابية للتراث كالتكافل والصبر والأصالة والتدين الوسطي، ونقد الجوانب السلبية كالتطفل، والجفاء الاجتماعي، والخضوع لأيديولوجية معينة بالقوة.

وقد تضافرت تلك الثلاثية في إبداع أحمد نصر السردي، لاسيما القصصي، وجعلت من قصصه مادة خصبة أثبتت قدرتها على إظهار الوجه الحقيقي للمجتمع الليبي بمكوناته المختلفة، وهو ما ساعد على ترسيخ الهوية الليبية الحقيقية المتميزة، تلك القائمة على ربط الإنسان ببيئته وقيمه المجتمعية والدينية، لذا فإن التراث في إبداع أحمد نصر السردي لم يكن في حد ذاته غاية، بل كان وسيلة فنية لصياغة موقف إنساني وأخلاقي من الحياة، وهو ما يفسر اهتمام الباحثين والقراء بكتاباته، لاسيما مجموعته الأولى الصادرة سنة 1970 واستمرار اهتمام القراء به حتى روايته الأخيرة "القرية التي كانت" 2011، أي أن حضوره الكتابي امتد على مدى أكثر من أربعة عقود، وقراءه ستة عقود.

الخاتمة والنتائج:

يمثل أحمد نصر حالة خاصة في المشهد السردي الليبي، فهو لم يكتف بأن يكون شاهدًا على بيئته، بل حوّل هذه الشهادة إلى مشروع كتابي متكامل امتد أكثر من نصف قرن، من مجموعته الأولى "وتبعثرت النجوم" 1970 إلى مجموعته الأخيرة "كشكول خاص" 2025. وبعد تتبع تجليات التراث الإيجابي في هذا المشروع السردي، سواء في القصة القصيرة أو الرواية، ووصف مظاهره وتفسير دلالاتها الثقافية والفنية، أمكن للبحث أن يخلص إلى مجموعة من النتائج، يمكن عرضها على النحو الآتي:

1- لم يتعامل أحمد نصر مع التراث الليبي بوصفه مادة وثائقية جامدة يوردها كما وجدها، بل أعاد إنتاجها فنيًا وصهرها في بوتقة التخييل السردي، بما يخدم بناء الشخصيات والأمكنة والأحداث في قصصه وروايته، وهو ما جعل من هذا التراث عنصرًا حيًا متفاعلًا مع بنية النص، لا مجرد خلفية وصفية منفصلة عنه.
2- أظهرت الدراسة أن القرية والصحراء الفضاءين الرئيسين اللذين استقى منهما أحمد نصر مادته التراثية، وقد ظهر ذلك بوضوح في رواية "القرية التي كانت"، التي جعل عنوانها وحده مفارقة دالة بين ماضٍ عامر وحاضر تلاشى منه، كما ظهر في قصتي "الماء" و"وكانت ليلة" اللتين رصدتا العلاقة الحميمة بين الإنسان وبيئته الصحراوية بكل قسوتها وجمالها في آن واحد.
3- كشفت النصوص عن حضور واضح للتراث الديني، وبخاصة التصوف، حضورًا لافتًا في نصوصه، سواء عبر شخصيات كالدرويش والحاج اللذين مثّلا رمزًا للاستقرار الروحي في القرية، أو عبر طقوس كالاحتفال بالمولد النبوي بما يصاحبه من أهازيج وشموع وقناديل، أو من خلال توظيف الألفاظ والمعجم الصوفي في الحوار ذاته، وهو ما يكشف عن تغلغل التصوف في الوجدان الشعبي الليبي وفي لغة أحمد نصر السردية نفسها.
4- لم تكن العلاقة بين الإنسان والحيوان في قصصه علاقة عابرة أو زخرفية، بل عبرت عن تراث اجتماعي وديني قائم على الرحمة والتكافل، كما تجلى بوضوح في قصة "الماء"، حيث تردد الراعي بين حرمة الملكية العامة وحق الحياة، وفي قصة "وكانت ليلة" حيث كان الجمل شريكًا في النجاة لا مجرد وسيلة عيش.

5- يتبين من تحليل النصوص أن الكاتب استفاد من توظيف دلالة الأسماء؛ أسماء الأشخاص والأماكن على حد سواء، توظيفًا فنيًا واعيًا يحمل أبعادًا تاريخية واجتماعية عميقة، كما في اسم "البرمكي" المحيل على تراث سياسي عربي وإسلامي عريق، وكما في "حي الحرية" و"مقهى الحرية"، اللذين حملا في طياتهما مفارقة ساخرة بين دلالة الاسم وواقع الفقر الذي تعيشه شخصيات القصة.

6- تحولت قصص أحمد نصر ورواياته، بفضل هذا التوظيف الواعي للتراث، إلى وثائق أدبية بمعنى الكلمة، تنقل تفاصيل الحياة الليبية القروية والصحراوية من كونها موروثًا شفاهيًا محدودًا محصورًا في ذاكرة جيل بعينه، إلى نص مكتوب يُقرأ ويُدرس، وينتقل بذلك من بيئته المحلية الضيقة إلى فضاء ثقافي أرحب يشمل القارئ العربي عمومًا.

7- لم يكن التراث في تجربة أحمد نصر غاية في ذاته، بل كان وسيلة فنية عبّر من خلالها عن موقف إنساني وأخلاقي متوازن، يمتدح الجوانب الإيجابية في التراث كالصبر والتكافل والأصالة والتدين الوسطي، وينتقد في الوقت نفسه جوانبه السلبية كالتطفل والجفاء الاجتماعي والخضوع القسري لأيديولوجيا بعينها، وهذا التوازن النقدي هو ما منح كتاباته مصداقيتها الفنية ووعيها العميق بمجتمعها.

8- أثبت البحث أن قصة أحمد نصر ترتكز على ثلاثية متكاملة: أصالة المضمون التراثي المستمد من معايشة حقيقية للبيئة الليبية، وبراعة الأداء الفني في الوصف وتعدد الرؤى السردية وتوظيف الحوار، والوعي النقدي الموازن بين الثناء على التراث ونقد سلبياته، وهذه الثلاثية مجتمعة هي ما صنع تفرد تجربته السردية.

9- يؤكد استمرار اهتمام القراء والنقاد بإبداع أحمد نصر، من مجموعته الأولى "وتبعثرت النجوم" 1970 إلى روايته "القرية التي كانت" 2011، أن توظيفه للتراث الإيجابي كان أحد أهم أسباب رسوخ مكانته في المشهد السردي الليبي، وأسهم إسهامًا فعالًا في نشر ثقافة القصة والتعريف بخصوصية المجتمع الليبي قرويًا وصحراويًا، محليًا وعربيًا، وهو حضور امتد فعليًا على مدى أكثر من أربعة عقود من الكتابة، وستة عقود من القراءة والمتابعة النقدية.

وخلاصة القول إن تجربة أحمد نصر السردية تمثل نموذجًا دالًا على أن التراث، حين يُستلهم بوعي فني حقيقي، لا يبقى مجرد ذاكرة جامدة تُستعاد كما هي، بل يتحول إلى طاقة إبداعية تعيد إنتاج الهوية الثقافية في قالب قصصي وروائي حي ونابض، يخاطب القارئ المحلي والعربي على حد سواء. فقد نجح أحمد نصر في أن يجعل من القرية والصحراء الليبيتين ليس مجرد مسرح جغرافي للأحداث، بل شخصية سردية قائمة بذاتها، تتنفس عبر أهلها وعاداتها ومعتقداتها.

تكشف هذه الدراسة أن توظيف التراث عند أحمد نصر لم يكن مجرد استدعاء للماضي، بل كان وسيلة فنية لتجسيد الواقع الليبي وإبراز خصوصيته الثقافية. وقد أسهم هذا التوظيف في منح أعماله بعدًا إنسانيًا وفنيًا جعلها جديرة بالدراسة، مع بقاء المجال مفتوحًا أمام بحوث تتناول جوانب أخرى من تجربته الإبداعية.

الهوامش:

1 – ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف بالقاهرة، بدون تاريخ، مادة (ورث)، ص4808.

2 – ينظر: سامي خشبة، مصطلحات فكرية، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997، ص66 – 67.

3 – دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة: منير السعيداني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2007، ص31.

4 – محمد يوسف نجم، فن القصة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1955، ص7.

5 – ينظر: أحمد محمد الشلابي، مدخل نقدي بيئي للنص السردي القصير عند الأستاذ أحمد نصر، مجلة المنتدى الأكاديمي، المجلد1، يوليو 2017، الجامعة الأسمرية الإسلامية، ليبيا، ص2.

6 – أحمد نصر، القرية التي كانت، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط1، 2011.

7 – كامل محمد مصطفى الكرشيني، الفضاء الروائي في رواية "القرية التي كانت" لأحمد نصر، مجلة البحوث الأكاديمية (العلوم الإنسانية) العدد26، الأكاديمية الليبية، مصراته، ليبيا، يوليو 2023، ص253.

8 – أحمد محمد الشلابي، مدخل نقدي بيئي للنص السردي القصير عند الأستاذ أحمد نصر، مرجع سابق، ص3.

9 – أحمد نصر، القرية التي كانت، دار المنار للطباعة والنشر، مصراته، 2011.

10 – المصدر السابق، ص10.

11 – المصدر السابق، الصفحة نفسها.

12– المصدر السابق، ص18.

13 – المصدر السابق، ص58 – 59.

14 – المصدر السابق، ص207.

15 – المصدر السابق، ص189.

16 – ينظر: أحمد محمد الشلابي، مدخل نقدي بيئي للنص السردي القصير عند الأستاذ أحمد نصر، مرجع سابق، ص4.

17 – أحمد نصر، وتبعثرت النجوم، مجموعة قصصية، دار الشرط الأوسط للطباعة، الإسكندرية، 1970، ص19.

18 – المصدر السابق، ص18 – 19.

19 – سورة الأنعام، الآية: 38.

20 – سالم مسعود العرابي، وصالح عبد السلام البغدادي، الأسلوبية وتحليل الخطاء السردي في قصة (حكاية الأستاذ الذي...!) لأحمد نصر نموذجًا، مجلة جامعة سبها، عدد 3، 2024، ص127.

21 – أحمد نصر، الحساب والجفاف، مجموعة قصصية، الدار الجماهيرية للنشر، طرابلس، 1999، ص115.

22 – المصدر السابق، ص117.

23 – المصدر السابق، ص114.

24– ينظر: سالم مسعود العرابي، وصالح عبد السلام البغدادي، الأسلوبية وتحليل الخطاء السردي في قصة (حكاية الأستاذ الذي...!) لأحمد نصر نموذجًا، مرجع سابق، ص130.